

# عندما أعلن المسلمون



■ مصير  
ثائر أفريقي  
في أمريكا الجنوبية  
عام ١٧٧٣ م -  
للرسام والشاعر  
البريطاني الشهير:  
« ولعمري بليك » ■

# الجهاد في البرازيل

■ كان المرضى يلقون في البحر أمياء



بقلم الدكتور :

انس الشيخ علي

■ لا يزال الكثير من صفحات التاريخ الإسلامي في الأمريكتين مطويًا رغم أن العديد من الأبحاث والدراسات تجري الآن في الولايات المتحدة حول تاريخ المسلمين الأفارقة الذين أقتلغوا من أوطانهم وحقلهم - وحتى من احضان مهاتهم - لبيعوا في سوق النخاسة الأمريكية. ويلاقوا صنوف العذاب والإرهاب: وربما كان كتاب « الجذور » ، لاليس هيلي - الذي صدر عام (١٩٧٦م) ، وتوالت طبعاته نتيجة الرواج الشديد الذي لاقاه ، وأخرج على شكل مسلسل تلفزيوني - يعبر أصدق تعبير عن رحلة العذاب والالم الطويلة ، ابتداء من لحظة الاختطاف ، مروراً بالاقفاص الخشبية التي كان يحجز فيها الأفارقة قرب السواحل قبل شحنهم بالسفن ، ثم الرحلة الشاقة الراهبة عبر الأطلسي حيث يوضعون في قعر السفينة ويربطون بالسلاسل ، ومن ثم ينقل الناجون من الرحلة إلى سوق النخاسة الأمريكية من « سيد » إلى آخر ، ومن مدينة إلى أخرى ، ومن ولاية إلى ثانية ، كل ما فيها غريب عليهم. وكل من فيها يتقن في تعريضهم لصنوف العذاب : وتشير المصادر الكثيرة إلى أن أعداداً كبيرة منهم ماتوا بسبب الأوضاع السيئة التي أحاطت بنقلهم ، وإصابتهم بالكوليرا أو الحمى الصفراء ، وكان المرضى منهم يلقون في البحر . ■



■ أحد  
الثوار  
يعذب  
أمام  
أفراد  
عائلته

ومند البداية أبدى هؤلاء مقاومة عنيفة للعبودية ، وقاموا بحركات وانتفاضات عديدة ضد تجار الرقيق وضد معتقليهم سواء على ظهر السفن التي تقلقهم إلى الغرب ، أو بعد وصولهم إلى الأراضي البرازيلية ، ولم تنتفد هذه الثورات حتى ألغيت العبودية في البرازيل في نهاية القرن التاسع عشر . وربما كانت أول انتفاضة لها تاريخ معروف في البرازيل تلك التي قامت على أيدي أفراد قبيلة الهوسا ، المسلمة ، في حيزران (بوتيه) ١٦٠٧م : حيث كتب حاكم منطقة ، ياهيا ، آنذاك ، كودني دي بونفا ، إلى الملك في لشبونة ، يخبره بهذه الانتفاضة مشيراً إلى أن الذين قاموا بها ينتمون إلى أشد قبيلة مقاتلة في غربي أفريقيا<sup>١</sup> . كما قامت انتفاضات وثورات عديدة ومحاولات للهرب بعد تلك المحاولة وطوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولكن الانتفاضات التي وقعت بالتتابع في الفترة الصغيرة نسبياً ما بين ١٨٠٧ - ١٨٢٥م اتخذت طابعاً مختلفاً جداً من حيث تنظيمها والعناصر المشاركة فيها .

فمع بداية القرن التاسع عشر بدأ المسلمون من إنشاء قبيلة ، الهوسا ، بتخليص صفوفهم ، وبالتخطيط الدقيق لانتفاضة مقلبة ، وأججت روح الحماس والعزم فيهم الأبناء التي كانت تتوارث باستمرار مع المستعبدين المسلمين الجدد من غربي أفريقيا عن حركة الجهاد التي اشعلتها القبائل المسلمة في المنطقة كلها والتي بلغت أوجها بين ١٨٠٤ - ١٨٤٠م وكان ، الهوسا ، مد عملاً ، وعن فـر المناطق الأخرى من البرازيل على الدعوة إلى الإسلام وتحويل العديد من الأفارقة المُستُعبدين إلى دينهم ، وتعليمهم القراءة والكتابة ، ومن ثم كان السعي إلى العمل والتنظيم السري لإعداد خطة لتخليص أنفسهم من نير العبودية والعودة إلى أفريقيا ، وكانت هذه هي البداية التي أدت إلى سلسلة من الثورات والانتفاضات أخذت بالتدريج طابعاً أبعد من مجرد محاولات الهرب والعودة إلى القارة الأم . ويذكر العديد من المؤرخين أنَّ أحد أهم العوامل التي ساعدت على هذه الانتفاضات هو التقوق والتمييز الفكري والثقافي الذي كان يتمتع به أفراد قبيلتي ، البويرا ، و ، الهوسا ، الذي اثرتنا إليه . ولماذا السبب ، يقول فراير - لم يكن من المتوقع أن ، يطع أو أن يخضع ، هؤلاء ، لاسيادهم ، الذين هم دينهم ثقافة ومقدرة ، ولماذا السبب أيضاً لم يتمكن التمييز الإيجابي ومحاولة تغيير اسمائهم إلى أسماء غربية نمساوية ، ن يظفي الحقيقة العمودية التي كانت تضطرب فيهم<sup>٢</sup> . ولك مؤرخ آخر أن هذه الحماسة كانت متفددة حتى في نفس القلة منهم . الذين تم تعميدهم<sup>٣</sup> . والذين قبلوا التمسّر تحت ظروف إجبارية قاهرة : بحيث إن هؤلاء كانوا يتكلمون لغات متشابهة . ويجمعهم دين وممارسات مشتركة فانهم استطاعوا أن يكونوا وحدة مترابطة فعالة جداً .

والثامن عشر - يتمتعون بتلقو فكري وحضاري ملحوظ ليس على السكان المحليين فقط بل على البرتغاليين والأوروبيين في تلك المستعمرة البرتغالية<sup>٤</sup> : فقد كانت لبلاد هؤلاء الأفارقة الذين جاؤوا من ممالك ، ورنسو ، و ، سوكونو ، و ، كاندو ، أشكال متطورة ومتقدمة من التنظيمات السياسية ، كما كان لهم أدب ديني واضح المعالم ، وفن أصيل يفرق إلى حد كبير ذلك الفن البرتغالي الذي كان يحاول فقط أن يقلد الفن الغربي الأصلي في الأندلس . فعند القرن الخامس عشر الميلادي تطورت حضارات متقدمة في غربي أفريقيا نتيجة علاقتها الوطيدة واتصالها المستمرة مع شرقي أفريقيا حيث استفادت كثيراً من حضارات وادي النيل وشرقي البحر الأبيض المتوسط . ومن ثم عن طريق الحضارة الإسلامية التي جاءت من شمالي أفريقيا . وبذا أضحي العديد من مدن غربي أفريقيا مراكز ثقافية وفكرية مهمة في القرن السادس عشر . حيث يشير المؤرخون إلى أن جامعة (تمبكتو) كانت تعطي حلفاء دراسات في الجراحة والأدب والشريعة الإسلامية : ويذكر أن الأرباح التي كانت تأتي من تجارة زعفران الكتب في (تمبكتو) كانت تلوق أضعافاً أرباح أية تجارة أخرى<sup>٥</sup> .

وهكذا كان المسلمون الذين جلبوا من غربي أفريقيا على درجة من الثقافة ، متقنين للقراءة والكتابة ، وكان ، أسيادهم ، أميين أو شبه أميين في أحسن الأحوال ، وكانوا عاجزين حتى عن كتابة اسمائهم ، ناهيك عن حساب أوزنهم المالية<sup>٦</sup> . وقد كتب المؤرخ البرازيلي ، نينا ووردريكن ، عن ذلك قائلاً :

[ لم يكن الذين وصلوا إلى البرازيل من السود غير متحضرين ، بل كانوا أبناء قبائل مقاتلة ومتحضرة إلى درجة كبيرة ، وكانوا يتقنون القراءة والكتابة ، ويملكهم أسيد أقل منهم تحضراً ، وإضافة إلى ذلك كانت لديهم تلك الروح الإسلامية التي ألبت التاريخ أن لها المقدرة على تحريك أمور عظيمة : لهذا لم يكن من السهل قيادهم أو تطويعهم وجعلهم مجرد أدوات بسيطة للحرارة<sup>٧</sup> ] .

وتشعر الدوائر النصرانية الكنسية اليوم بالقلق نتيجة التحول السريع والكبير إلى الإسلام من قبل الأمريكيين السود ، هذا التحول الذي تُعزى أهم أسبابه إلى اكتشاف هؤلاء السود جهودهم الإسلامية ، فبدؤوا محاولات جادة وفعلية للعودة إلى هذه الأصول والتسلك بها . بعد أن اشعرتهم هذه الجذور بالعرى والكرامة والانتماء الصحيح والأصيل الذي كانوا قد فقدوه وافتقدوه لسنين طويلة .

والنك مرة من تاريخ هؤلاء الأفارقة المسلمين في البرازيل لم تتل حقا من الدراسة والاهتمام رغم أهميتها الخاصة ودلالاتها الواسعة العميقة التي ترتبط بواقع الدين الإسلامي الحنيف ، ومشاعر الصبر والقوة والكرامة والامتثال التي يمتحنها هذا الدين العظيم لإنائه ، صبراً بوجه الشدائد والألام والقهر ، وقوة بوجه الظالم والعتدي والغاصب ، وكرامة نفس تجاه كل محاولات الإذلال والإكراه ، وانتماء عميقاً ومتمبناً إلى الأخوة والرابطة الإسلامية التي ينهار أمامها كل شعور فردي أو قومي أو عرقي ؛ وبسبب هذا الانتماء استطاعت ألقية مسلمة مؤمنة بردها ، وعل بعد آلاف الأميال عن أوطانها أن تقارع الظلم والعدوان بكل شجاعة والإقدام وتنظيم ، واستحقت بذلك تقدير وإعجاب الأعداء . لقد نجحت تلك الأتالية رغم التمشحيات الكبيرة التي قدمتها بتغيير مسار التاريخ ، وساعدت في وضع نهاية للعبودية وتجارة العبيد في البرازيل .

نقل الكثير من المسلمين السود من أبناء أفريقيا الغربية إلى البرازيل في القرن السادس عشر بواسطة المستعمرين البرتغاليين ليكونوا عبيداً يعملون في مزارع ومصانع السكر . وفي أعمال شاقة ومتدنية أخرى ؛ ورغم أنهم وزعوا في أرجاء البرازيل إلا أن غالبيتهم العظمى كانت موجودة في مدينة ، ياهيا ، الشهيرة والمناطق المحيطة بها ، كما كانوا الجالية الكبرى الثانية في مدينة ، ريو ، جنوبي ، ياهيا ، . ويعود أصل الأفارقة المسلمين الذين نقلوا إلى البرازيل إلى القبائل الإسلامية في غربي أفريقيا وأهمها ، البويرا ، و ، الهوسا ، . وكان هؤلاء - خاصة الذين وصلوا منهم في القرنين الثامن عشر



■ إحدى المعارك بين الثوار الأفارقة وقوات السلطة ■

الثورة ثم شق أربعة من زعامتها في الساحة العامة وجُذِّد ثلاثة وعشرين آخرين، كما حكم على عدد منهم بالسجن حيث توفي بعضهم. وأرسل عدد آخر للعمل في الأشغال الشاقة في «أنغوا» و «موزمبيق». ورغم القمع الشديد والعقوبات القاسية والمراقبة المستمرة استطاع هؤلاء المجاهدون المسلمون الأفارقة في «باهيا» تنظيم أنفسهم مجدداً والقيام بعدة انتفاضات أخرى شارك فيها - إضافة إلى «الهوسا» - أعداد كبيرة من «اليوروبا» ووقعت انتفاضات في شهري الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ١٨١٦م وكذلك في عاصم ١٨٢٢م و ١٨٢٦م.

وفي انتفاضة ١٨٢٦م هرب عدد من الأفارقة المسلمين إلى الأحرار المجاورة لـ «باهيا» حيث أقاموا ما كان يطلق عليه (كويوميو) أي قرية صغيرة، وأعدوا خطة دفاعية محكمة للغاية، وعندما هاجمهم القوات زرعها على أعقابها بعد أن كبدوا خسائر كبيرة وتحويلوا من موقف الدفاع إلى الهجوم، واحتلوا بعض الموانع مثل منطقة «استرادا دو كابوا» إلى أن تم تجميع أعداد كبيرة من القوات من المناطق المجاورة قامت بتبنيهم».

ومن الجدير بالذكر أن امرأة مسلمة من «اليوروبا» كانت تدعى «زفرينا» هي التي قادت المجاورة وأبدت مقاومة شديدة حيث يؤكد المؤرخ البرازيلي «أرتوراموز» أنها لم تستسلم قط مثل كلتا بنديها.

وقامت انتفاضة أخرى عام ١٨٢٧م في معازل العسكري في «فتوريا» رافقتها انتفاضات فرعية في مناطق قريبة من مدينة «باهيا» وقد تطلب قمعها إتمام عدة: «وفي البداية عشرين من (مارس) عام ١٨٢٨م قام عدد كبير من «اليوروبا» بالهرب واختلوا في الأحرار حيث أقاموا صبيحة اليوم التالي باحتلال معزل للأسماك، وترجحت اليوم القمحة أمام مقاومتهم البطولية بعد أن تكبدت خسائر كبيرة، وعلى إثر ذلك استدعت قوات الخيالة التي هاجمتهم بضراوة وذبحت غالبيتهم: وكان الأوروبيون وبقية السكان يعيشون حالة رعب شديد وقلق بعد هذه المحاولات المتكررة والمستمرة، وقاموا بالكتابة إلى الحاكم يطلبون بزيادة الحراس وأفراد الشرطة والدوريات، ويتعهدون بالمساهمة في تحمل النفقات: ووقعت انتفاضة أخرى عام ١٨٣٠م في قلب مدينة

بعد الساعة التاسعة مساء دون مواقفة، إسيادهم، الخفية، وإلا كانت عقوبتهم الجلد مائة جلدة في الساحة العامة للمدينة، لكن الإرعاب والقمع لم يفلحا في القضاء على هذا التنظيم، بل إنه أدى إلى تلاحم أمتن وأقوى بين أفراد قبيلتي «الهوسا» و «اليوروبا» رغم عداوتهم التقليدية السابقة في أفريقيا: وفي هذه المرة لم تتمكن السلطات من اكتشاف التنظيم، ولم يكن هدف الثورة مجرد الهرب فقط، كما أتفق في المرة السابقة - بل معارعة الظلم والفر والتصدى له: وفي ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٨٠٨م هرب عدد من المسلمين المسترقين الذين يعملون في مزارع السكر المحيطة بـ «باهيا»، ثم انضمت إليهم أعداد أخرى من المناطق المجاورة، وفي يوم ٤ يناير (كانون الثاني) ١٨٠٩م اعتصم الجميع في منطقة تبعد حوالي (٣٠) ميلاً خارج مدينة «باهيا» وعندما هاجمته قوات الشرطة ادبوا مقاومة بطولية ورفضوا تسليم أنفسهم، فاصدر الحاكم أمرا بدم مواقعهم وإطلاق القذائف عليهم بوحشية وبصورة عشوائية، فقتل عدد كبير منهم وأسر ثمانية وتسعون حكم على غالبيتهم بالإعدام، ثم ربط البقية بالسلاسل وسخروا لقتل الأوساخ والقاذورات لسردم بعض المناطق المنخفضة في المدينة: وعندما قامت انتفاضة أخرى في (كانون الثاني) ١٨٠٩م وثالثة في (شباط) فبراير ١٨١٠م صدر أمر من الأمير «ريجنت جويو» بأن يجلد أولئك الذين اشتركوا في الانتفاضتين أمام الناس ثم يباعوا ويبيعدوا عن المنطقة.

وصير هؤلاء على العبودية والفر أربع سنوات ثم انتفضوا مرة أخرى في ٢٨ فبراير (شباط) ١٨١٤م، وبخبر المؤرخون هذه المحاولة من أخطر الانتفاضات التي تمت حتى ذلك الوقت: ففي الساعة الرابعة صباحاً قام المسلمون الذين يعملون في مزارع السكر حول «باهيا» وكان عددهم حوالي (٦٠٠) فرد، أعادوا تنظيم صفوفهم بدقة، بالهجوم على المستعمرات المحيطة بـ «باهيا» وأشعلوا الفئران فيها، ثم انضم إليهم أعداد من الأفارقة من منطقة «إيتابون» القريبة: وقامت السلطات بحشد جموع ضخمة من المشاة والخيالة، نظرت الثوار واشتبكت معهم في قتال استمر حتى الساعة السادسة مساءً فقتل في أعداد كبيرة من الطرفين، وبعد أن أخذت

إلى أهمية سلسلة الثورات التي وقعت في «باهيا» وضواحيها التي وصفها العديد من المؤرخين بالحروب الدينية وبالجهاد: بسبب طبيعتها وتنظيماتها الدينية «العالية» - تنبع من الموقع الاستراتيجي والخطير الذي كانت «باهيا» تتمتع به في تلك الفترة: فقد استمرت «باهيا» خلال القرنين الأولين للاستعمار البرتغالي المركز الذي يدير منه المستعمرون شؤون البلاد كلها، وبعد انتقال الحكومة إلى «ريو» عام ١٧٦٣م بقيت «باهيا» تزدى دوراً رئيساً وأساسياً في سياسة المستعمرة، ثم في سياسة الإمبراطورية بعد الاستقلال عام ١٨٢٢م.

بدا مسلسل الانتفاضات والثورات الإسلامية التي قام بها أبناء «الهوسا» و «اليوروبا» في البرازيل في القرن التاسع عشر يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٨٠٧م، وكان «الهوسا» يهيئون منذ فترة الأسلحة، حيث جمعوا الأقواس والسهم، وعداداً من السيوف الخفيفة القصيرة، إضافة إلى المسدسات والبنادق، وتم الاتفاق في اجتماع سري على أن يلتقي الذين يعملون داخل المدينة مع أولئك الذين يعملون خارجها في حقول السكر عند الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم، وكانت الخطة تهدف إلى إضرام الحريق في دائرة الجمرك في الصرغا، ومن ثم السيطرة على القوارب الموجودة في الميناء واستخدامها للعودة إلى أفريقيا، وعين لكل منطقة ضابط اتصال مهمته مراقبة الأمور في منطقتها وإيصال الأخبار والتعليمات ومساعدة كل ذي حاجة.

كان هذا هو هدف المحاولة الأولى، ولكن الأحداث التي تعاقبت غيرت من المفاهيم وطوّرت الخطط والأهداف التي بلغت ذروتها عام ١٨٢٤م، وقد قرأنا نكتشف السلطات المحاولة الأولى قبل تنفيذها بسنة أيام، واتخذ الحاكم إجراءات أمنية عاجلة، وبدأ مراقبة الأفارقة المسلمين وتحركات قاداتهم: وفي اليوم السادس قامت الشرطة بتطويق البيوت التي اجتمع فيها الثوار المسلمين وأغلقت أبواب المدينة وأغلقت الموجودين في الداخل كهم، وحكم على قائد الحركة واسمه «أنطونيو» ومساعدته «يلشتر» بالموت شنقاً بعد أن وجد لديهم (٤٠٠) سهم وقوس وبعض المسدسات والبنادق وطل واحد، كما صدرت أحكام أخرى بالسجن على أعداد منهم: وصادر الحاكم أمراً منع في الأفارقة المسلمين من التحول خارج مراكز عملهم أو بيوتهم

# ■ نُقِلَ الكثير من المسلمين السود من أبناء أفريقيا الغربية إلى البرازيل في القرن السادس عشر بواسطة المستعمرين البرتغال ليكونوا عبيداً يعملون في مصانع وعزارع السكر .

من الثقافة يقومون بالتدريس لزملائهم وتنظيم التمرد : كما يوجد بين العنصرين ( عبيد احرار ) لهم بعض المهن . لقد وجدنا بحوثهم العديد من الكتب التي يتدعون انها اجزاء من القرآن . ومن المؤكد ان الدين قد لعب دوراً أساسياً في هذه المحاولة .

وقد عثرت الشرطة أيضاً على أوراق باللغة العربية كانت تتضمن دعوة إلى المسلمين الأفارقة وقمها شخص أطلق على نفسه « الملا ابو بكر » يدعوه فيها إلى الوحدة والثورة ، ويؤكد لهم ان النصر حليفهم إذا تصاموا ؛ وعثرت أيضاً على رسائل متبادلة بين بعض اطراف الثورة . ومنها رسالة مرسلة من شخص وقع اسمه « علي » إلى شخص يدعى « ادا » يحدد له موعد اللقاء والتحرك معاً للانضمام إلى الثورة ، وقامت الشرطة على اثر ذلك ببذل جهود مكثفة لمعرفة وتحديد واعتقال « مهلي » هداريس القرآن ، لأنها شعرت انهم مصدر التنظيم والخطر الحقيقي .

وكان في هؤلاء المعلمين افارقة مسلمون طلقاء وارقاء اكدت المصادر انهم كانوا على درجة عالية من الذكاء ، ويتحلون بقيم اخلاقية اسمى بكثير من « اسياهم » .

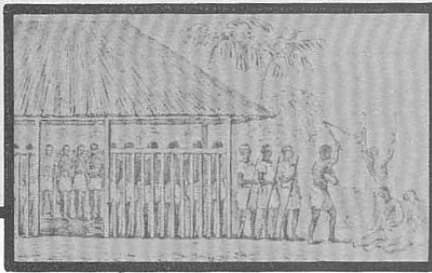
وكما قاتل اجدادهم وابائهم المسلمون الوثنيين في افريقيا فداعاً عن دينهم وعقيدتهم السحاح ورفضوا الخضوع والخنوع ، قاتلوا في البرازيل وتصموا بكل بطولة وعزيمة للنصارى الغربيين الذين اقدمهم حربهم وحاولوا ايلانهم والقضاء على عقيدتهم . معتبرين ان نصارى البرازيل لا يفتخون بشيء عن وثني افريقيا .

وهكذا اعتقلت السلطة معظم هؤلاء المعلمين المسلمين ، إضافة إلى كل من كان يبدو ان يتمتع باحترام الافارقة المسلمين . وقد اعتقل رجل مسنح يدعى « ليوكوتان » وهو من الذين يطلق عليهم « الوفا » أي عالمين ، بحكمه بالغ بلفة جلدة : لأنه شوهد في اليوم التالي للثورة مغموراً والدموع تنسكب من عينيه . كما عرف ان الافارقة قاطبة كانوا يلجؤون إليه للنصح والإرشاد ولاستشارته في طرق الحصول على حريتهم . كما حكم على الافريقي المسلم « لويز » الذي لم يثبت اشتراكه في الثورة بخمسائة جلدة لأنه كان يتمتع باحترام شديد . ولوجود بعض الأوراق التي كتبت عليها آيات من القرآن الكريم في حوزته .

تمسكين بالسيف والبنادق فدب الربح في صفوف قوات الشرطة ، خاصة بعد ان اصيب قائدهم الملازم « لازاوي » بجروح ممتدة ، ويذكر المؤرخ البرازيلي « فيرجر » انه عندما جرح احد هؤلاء الثوار وسقط في الارض قام الاهالي وبعض رجال الشرطة بضربه بالعصي حتى مات . . . . . ووجدوا بحوزته كيساً جلدياً صغيراً مربوطاً حول رقبته وفي داخله اوراق مكتوبة بلغة « غريبية » . . . . . وانشاء ذلك اندفع الثوار المسلمون فهاجموا حراس القصر وحراس الكلية اليسوعية ، وحاولوا اطلاق سراح المساجين من زملائهم إلا ان السلطة كانت قد اتخذت احتياطاً للامر . كما حاولوا احتلال مركز الشرطة ، وكان مديره قد قرر التراجع إلى منطقة « بوم » لأنها اكثر حصانة ويسهل الدفاع عنها ، وكانت تحركات الثوار عشوائية لا تستند إلى الخطة السليمة التي رسمت بدقة . والتي كانت تعتمد على وصول رفاقهم ، ليس فقط من داخل « باهيا » بل من الحقول والمدن والقرى المجاورة للمساعدة في الثورة ؛ وعندما هاجم الثوار موقع الشرطة الجديد الحصين رُثوا على اعقابهم ، كما هاجمهم من الخلف قوات الخيالة التي تثلث معظم الأشخاص الستين الذين كانوا موجودين في ذلك البيت استعداداً لساعة الصفر : وفي الأيام التي اعبت المحاولة قامت السلطة بتفتيش دقيق للمدينة والمناطق المجاورة بحثاً عن الأسلحة والرجال وقادة الثورة . حيث تم العثور على كمية كبيرة من الاوراق شبيهة بتلك التي وجدت مع اول قتيل من الثوار . واكتشفت فيما بعد انها آيات من القرآن الكريم وبعض الكتابات باللغة العربية التي كان الثوار يستخدمونها في عملية الإعداد والتخطيط للثورة وفي المراسلات بينهم . . . . . وكتب مدير الشرطة آنذاك دكتور « فرانسيسكو مارتينيز » الذي قاد عملية القضاء على الثورة إلى الحاكم ما يلي :

لقد اتخذت الإجراءات المناسبة لتفتيش البيوت كافة التي يوجد بها عبيد دون استثناء ، وسوف اقدم تقريراً مفصلاً إلى سيادتكم قريباً : إنني أؤكد سيادتكم ان التمرد قد قرر منذ فترة طويلة جداً وبسريرة بلغة . واستناداً إلى مخطط شديد الثقة لا يمكن توقعه . . . . . لقد اكتشفنا انهم جميعاً يجلسون القراءة والكتابة ، يستخدمون لغة تشبه اللغة التي يستخدمها ابناء قبيلة « اليوريا » ، ويوجد بينهم اناس على درجة كبيرة

، باهيا ، حيث قام عشرون افريقياً مسلماً بالهجوم على احد المخازن التجارية واخذوا اثني عشر سبياً واسلحة اخرى ، وانطلقوا إلى حيث يجري تجميع الرقيق الجدد في الميناء ، وقاموا باطلاق سراح مائة منهم ، وبعد ان انضم إليهم آخرون من الحقول المجاورة قاموا بمهاجمة الشرطة ، وكانوا على وشك احتلاله - بعد ان تمكنت الشرطة اعداداً كبيرة من القتل - عندما وصلت قوات الخيالة والجيش واعلمت فيهم تقديراً . وربما كانت انفاضة عام ١٨٢٥م التي يطلق عليها المؤرخون « ثورة ماليز » ، أي ثورة المسلمين ، اقوى وأخطر هذه الثورات وادقها تنظيمياً وتخطيطاً واكثرها طموحاً حيث كانت تهدف للسيطرة التامة على مدينة « باهيا » التي كانت في ذلك الوقت - كما يشير بيريوس - مركز « قائد اتباع محمد الافارقة في البرازيل » . أي مركز الإمام الذي لم تكن تعرفه السلطات : وإشارات المصادر البرازيلية إلى ان توقيت ساعة الصفر كان تكديماً جداً ، فقد كان من المفروض ان تبدأ الثورة فجر يوم الأحد السادس ٢٥ كانون الثاني (يناير) . وهو يوم عيد ديني وطني يجتمع فيه معظم اهل المدينة المنصاري في كنيسة « بونفيم » الواقعة في ضواحي « باهيا » ، وبذلك يستطيع الافارقة المسلمون مغادرة بيوتهم ويطيح « اسياهم » دون إثارة الانباه ، كما كان العديد منهم يخرج عادة في ذلك الوقت لجلب المياه من الآبار العامة وسط المدينة ؛ وُعثت الادوار بدقة وكانت تتضمن إشعال بعض الحرائق في ابنية الحكومة لتشتيت جهود رجال الشرطة ، وإخراج القوات من ثكناتها وإجبارها على القتال في مواقع حددها الثوار مسبقاً ؛ وكان الثوار يتوون جمل مدينة « باهيا » قائدة مساندة بالمحاولة في الساعة التاسعة مساءً من ليلة التنفيذ . أي قبل ساعات قليلة من التحرك ، حين قامت إحدى نساء الرقيق بإبلاغ احد جيرانها انها سمعت بان اعداداً من المسلمين الرقيق قد بدؤوا يتوافدون على « باهيا » بصوتة سرية ، وطلبت منه اتخاذ الحيطة والحذر ، ولكن هذا الشخص قام فوراً بإبلاغ الحاكم ومدير الشرطة ، حيث اتخذت على الفور إجراءات أمنية شديدة ، وقامت القوات بداهمة البيوت واعتقال الافارقة المسلمين الرقيق والاحرار ، وعندما حاولت الدخول إلى احد البيوت في « باهيا » قرب منتصف الليل اندفع منه ستون ثاراً مسلماً



■ الألقاص الخشبية التي كان يجز فيها الأفارقة قبل شنهم إلى الأمريكتين ■

الثوري<sup>(١١)</sup> ، ويؤكد ، فيما رودريكز ، أن السلطات لم تتمكن - رغم كل الوسائل التي لجأت إليها - من معرفة وتحديد زعيم الثورة الذي وقع على البيان الموجه إلى المسلمين يدعوهم فيها إلى الثورة باسم «العلامة أبو بكر» ، والذي كانت الشرطة تطلق عليه ، ليعملوا ، أي الإمام ، ولكن ، رودريكز ، اكتشف بعد ذلك عندما كان يجري تحقيقاته حول الموضوع بين ( ١٨٩٠ - ١٩٠٥م ) أن الإمام ، أبا بكر ، كان اسمه البرازيلي ، تومي ، وأن حماس الثوار وتماسكهم حال دين ، اكتشافه وإبقاء بعيداً عن متناول الشرطة<sup>(١٢)</sup> . ويؤكد ، «هاوزن» أيضاً على هذا التلاحم شديداً إلى الشجاعة والصبر اللذين تمسك بهما هؤلاء الأبطال أثناء التحقيق معهم ، فقد كانوا شديدي الولاء أحدهم للآخر ، ولم يُدل أي منهم باعتراف يدين فيه زميله أو محرضيه على الثورة ، ويذكر بصورة خاصة ، هنريكس ، من قبيلة «الغويويا» ، الذي كان مصاباً إصابات شديدة في ظهره ويده ، ولكنه كان يبذل جهده ويؤلف نغماته الأخيرة لينتقل ببعض الكلمات يؤكد فيها أن لا علاقة له بمعرفة بأي شخص<sup>(١٣)</sup> .

ويعد ، رودريكز - أثناء تقييمه لثورة ( ١٨٢٥ ) والانتماءات التي سبقها فيقول :

كانت قوة التنظيم الديني وتعاليم الإسلام وتأثيره واضحة في هذه التمردات جميعاً ، فهنا ، كما في حالات تاريخية سابقة ، أبدت الحماس والإيمان الديني هؤلاء السود عن النفس الخلقية الذي هو نتيجة محتمة لتخطط الإرادة الرفيع بسبب العبودية . وكان المستوى الخلق الرفيع الذي تحل به المقهورون في مواجهة الموت والأخطار هو مفتاح هذه التمردات جميعاً ومنظفها الذي يجب أن لا يعزى إلى اليأس الذي يولده الاستعباد ( حيث شارك في تلك الثورات الأرقاء المحضرون ) ولا إلى متساعر التضامن الاجتماعي ، حيث إن غير المتدينين وغير المسلمين لم يشعروا فيها ، كما لا يمكن أن يعزى الأمر إلى رابطة الدم لأن بعض العبيد اتخذوا مواقف معادية وقتلوا ، بل إن الإسلام وتمسك هؤلاء بديهم كان المحرك الرئيس لكل هذه الانفصالات<sup>(١٤)</sup> .

وهذا الرأي الذي يقول به ، رودريكز ، يدعّمه بالعديد من الوثائق والأدلة وأوراق التحقيق<sup>(١٥)</sup> ، وهو يدحض بعض الآراء الأخرى التي حاولت أن تنقل من

الأفارقة يقومون بموجبه بدفع كمية من المال لفترة وأخرى ، حيث يجري استثمار هذه الأموال واستعداد المساعدة من يحتاج منهم ، وكذلك في تقديم جزء من المبلغ الذي قد يحتاجه أحدهم لشراء حربته . وكان ما أزرع السلطات كثيراً أن الأفارقة الذين يتألون حربتهم ويحصلون على أعمال تدر عليهم الأرباح كانوا يبقون على ارتباطهم بالسابق بالمجموعة ويمدون بها بكل أسباب العون ووسائل الدعم .

وقامت السلطة بعد أيام من الثورة بإعدام أربعة من معلمي مدارس القرآن الكريم السرية وهم : «بلشويور دي سلغا كوتها» ، و «كاسبر دي سلغا كوتها» ، و «جورج وكرورج يارويوسا» - وكلهم كانوا قد حصلوا على حربتهم - إضافة إلى «لويز ستامير» . وتواتت بعد ذلك ولفترة طويلة أحكام الإعدام التي بلغت ثمانية عشر حكماً : وفي يوم ١٤ حزيران (يونيه) ، وعندما لم تجد السلطة جلاًداً لنفذ حكم الشنق بحق خمسة من الثوار قامت بترحيلهم بالبرصا - ويعلق المؤرخ البرازيلي «رودريكز» على هذه الحادثة قائلاً :

إن القدر شاء أن يعدم هؤلاء الأبطال بطريقة تليق بهم ، فلما لم تستطع السلطة إيجاد جلال يقوم بإعدامهم تم رميهم بالبرصا مثل الجنود<sup>(١٦)</sup> .

وفي النتيجة صدرت أحكام متفاوتة بحق ( ٢٨٦ ) رجلاً و ( ٢٤ ) امرأة ، وكانت الأحكام تتراوح بين الإعدام وإرسالهم للعمل في السفن الشراعية والأشغال الشاقة الأخرى والسجن والجلد . وترأوت أحكام الجلد بين ( ٥٠٠ - ١٢٠٠ ) جلدة كانت تنفذ بمعدل ( ٥٠ ) جلدة في اليوم ، ورغم تحذير الأطباء بأن العديد منهم - خاصة المسنين - لا يحتملون الجلد فقد نفذت السلطة الأحكام معهم مما أدى إلى موت العديد منهم تحت السياط<sup>(١٧)</sup> .

كان بين قادة هذه الثورة امرأة تدعى ، لويزا ماهن ، يعتقد بعض المؤرخين أنها كانت أميرة في بلادها قبل أن تختطف بالعرف من أهلها وتشنق إلى البرازيل<sup>(١٨)</sup> . وكان بيتها مركزاً للقاء قادة الثورة ، ولكن لم يعرف شيء عن مصيرها بعد الثورة ، ويؤكد «هاوزن» ، أنها بقيت رمزاً لجماعة المرأة الأفريقية المسلمة وبطلانها<sup>(١٩)</sup> . وكان بين قادة الثورة عالم دين اسمه «إيلميادي كرامو» ، كانت له شعبية كبيرة بين الأفارقة ، وكان يدعو دائماً إلى الإسلام وإلى التغيير

بخمسائة جلدة لأن ، سيده ، لاحظ تغييره ليلة الثورة<sup>(٢٠)</sup> . كما ألقي القبض على مسلمين آخرين لمجرد حيازتهم طيلةً أفريقية ، أو جلابيب بيضاء وطاقيات رأس ، منع جلدها من أفريقيا<sup>(٢١)</sup> .

إن هذه الثورة ، وتنظيمها الدقيق الحكم ، وكذلك أبعادها الدينية وأهدافها التي الرعب الشديد في نفوس السكان المحليين والأوروبيين على السواء عبر عن الفتح البريطاني في «باهايا» عندما كتب إلى دوق «ويلينكتون» يقول :

إن السكان البيض في حالة رعب وترقب شديدين ، وهم يعتقدون أن العبيد الذين يعملون في حقول السكر سوف ينثرون على أسيادهم<sup>(٢٢)</sup> . وكذلك عبر عنه الأمير الذي أصدره مدير شرطة «باهايا» إلى مديري المناطق الفرعية الأخرى ، والذي جاء فيه ما يلي :

عليكم أن تلوغوا فوراً بإرسال المفتشين إلى بيوت ومخازن الأفارقة كلها ، وأن تجروا تفتيشاً دقيقاً جداً بحثاً عن الرجال والسلاح والوثائق .

يجب أن تأخذوا بعين الاعتبار أن هؤلاء الأشخاص لا يتمتعون بحقوق المواطنين أو الأجانب . وعلى أي أن احتمال لاية حركة مشابهة يجب أن يقضى عليه الآن بشكل حاسم . وكذلك عليكم أن تستدعو على المواطنين ، وحسب تقديركم ، وتجبروه على التعاون معكم - إذا لم تحركهم وظنيتهم أو رغبتهم في المحافظة على حياتهم - فإنه من الضروري ابتداء من اليوم تشكيل دوريات من المواطنين وزيادة بظفة وحذر قوات الشرطة<sup>(٢٣)</sup> .

وعلى إثر هذه الثورة أيضاً قرر الحاكم أن يبذل جهده لوقف جلب الرقيق إلى «باهايا» ، بعد أن شعر بخطورة الأمر بسبب خصائص هؤلاء الأبطال وإصرارهم المستمر على رفض الذل والخضوع والتكفل في دينهم .

واكتشفت الشرطة أيضاً أن هؤلاء المسلمين الأفارقة كانوا مسلمين ضمن تنظيمات صغيرة أو ما تسميه المصادر البرازيلية «نوادي» ، حيث كانوا يتجمعون للدراسة وقراءة القرآن الكريم ، ومناقشة أمورهم وأوضاعهم ، ومساعدة بعضهم بعضاً ، وأنه كان يعد عن هذه التنظيمات كل الذين يشك بولائهم ويتمسكهم بتعاليم الإسلام . كما اكتشف المحققون وجود تنظيم مالي دقيق كان هؤلاء

# لقد كانت الثورات الإسلامية التي قامت في مناطق مختلفة خاصة في « باهيا » من أهم العوامل التي أدت إلى إلغاء العبودية في البرازيل .

- Putnam (London, 1963), pp. 298-299; and Donald Pierson, *Negroes in Brazil: A Study of Race Contact at Bahia* (Chicago, 1944, p. 39.
- R. Ethel Dennis, *The Black People of America: Illustrated History*, edited by Victor B. Liberman (New York, 1970) p. 29.
  - Freyre, p. 298.
  - Quoted in Pierre Verger, *Trade Relations Between the Bight of Benin and Bahia from the 17th to 19th Century*, translated by Evelyn Crawford (Ibadan, Nigeria, 1976), p. 287. All references to and quotations from Nina Rodrigues are from this book.
  - Arthur Ramos, *The Negro in Brazil*, translated from the Portuguese by Richard Pattee (Washington, 1951), p. 40.
  - Freyre, p. 315.
  - Mary C. Karasch, *The African Heritage of Rio De Janeiro* in Ann M. Pescatello, editor, *Old Roots in New Lands: Historical and Anthropological Perspectives on Black Experiences in the Americas* (Westport, 1977), 36-76, (p. 65).
  - Verger, P., 286, 308; and Ramos, p. 44.
  - Rodrigues, p. 293.
  - Ramos, p. 47.
  - Verger, p. 294.
  - Pierson, pp. 43-44.
  - Verer, p. 298.
  - Ibid.
  - Verger, p. 299.
  - Verger, p. 300.
  - Ibid.
  - Ibid.
  - Verger, p. 301.
  - Verger, p. 300.
  - Verger, p. 301.
  - Verger, p. 302.
  - Verger, p. 297.
  - Verger, p. 305.
  - Verger, p. 306.
  - Ramos, p. 50.
  - Verger, p. 300.
  - Verger, p. 301.
  - Verger, p. 302.
  - Verger, p. 297.
  - Verger, p. 305.
  - Verger, p. 306.
  - Ramos, p. 50.
  - Verger, p. 300.
  - Verger, p. 301.
  - Verger, p. 302.
  - Ramos, p. 51.
  - Quoted in Verger, p. 308.
  - Ramos, pp. 44-45.
  - Abbe Elienne, *La Secte Musulmane des Malés du Brésil at leur révolte en 1835*, *Anthrop: Revue Internationale d'Ethnologie et de Linguistique*, IV, 1909, pp. 99-105, 405-416, (p. 406).
  - Verger, p. 307.

• سيده ، وعدم نزعها إلا إذا تم بيعه خارج منطقة باهيا .<sup>(٣١)</sup>  
 لقد كانت هذه الانتفاضات والثورات الدينية التي قامت في مناطق مختلفة ، خاصة في ، باهيا ، هي أحد أهم العوامل التي أدت إلى إلغاء العبودية في البرازيل .  
 لقد أبدى الأفارقة المسلمون - ومنذ البداية - مقاومة شديدة للعبودية عبروا عنها بطرق مختلفة ، منها : الهرب الفردي أو الجماعي ، ومحاولة إقامة الفرز المحمسة في الأديان والدفاع عنها ، ولكن الثورات المنظمة ، وأهمها وأخطرهما : ثورة المسلمين عام (١٨٣٥م) : هي التي هزمت السلطات الاستعمارية العنصرية حيث دوى صدها في أرجاء البرازيل ، وبذلك حازت وشجعت العمل على إلغاء العبودية هناك والذي كان يسير ببطء شديد .

## المراجع

- (١٥) تشير بعض المصادر إلى أن السلطات العنصرية البرتغالية استماتت ببعض التجار المارونيين اللبنانيين لقراءة هذه الوثائق . انظر :
- R. K. Kent, 'African Revolt. in Bahia: 24-25 January 1835', *Journal of Social History*, III, 1970, 134-356, (p. 352).
  - (٢٨) من الجدير بالذكر أن لوييز ماغن هي والدة الشاعر البرازيلي الشهير لوييز كاما الذي ولد عام ١٨٢٠م ، وكان أحد أبرز القادة الأفارقة في البرازيل وله أكثر من عمل من أجل إلغاء العبودية هناك . انظر Ramos, p. 50.
  - (٣٢) يشير كل من  
 33. (Pescatello, p. 101), (Pierson, p. 45).  
 34. Ann M. Pescatello, 'Préto Pierson, Brazilian Slave: Modes of Re-Actions to Slavery in the Nineteenth Century', in *Old Roots in New Lands*, op. cit., 76-106, (pp. 81-82); and Kent, pp. 355-356.
  - (٢٤) إلى أن الوثائق الواردة في أرشيف الوثائق في مدينة باهيا ، تتضمن التحقيقات التي أجرتها الشرطة ، إضافة إلى الأوراق والكتب كاتبة المكتوبة باللغة العربية والتي وجدت بحوزة الثوار .  
 في محاولة واضحة للتقليل من دور الشعور الديني في هذه الثورات يشير بيبيستايو (ص ٨٦) إلى أن اشتراك النساء في هذه الثورات لا يتماشى ، و المكانة الدنيا التي تحتلها المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي ، !!
  - Gilberto Freyre, *The Masters and the Slaves: A study in the Development of Brazilian Civilization*, translated from the Portuguese by Samuel

تاثير دور العامل الإسلامي ، وتعزز الأمر إلى أسباب اجتماعية - اقتصادية . ورغم أنها لا تنك إلا أن تعترف بالدور الإسلامي فإنها تشير إلى أن هذا الدور كان قيادياً فقط ، وأن افارقة غير مسلمين شاركوا في هذه الثورات أيضاً<sup>(٣٣)</sup> . والمؤرخ البرازيلي ، واهون يرى الأمر أيضاً من وجهة نظر ، وروبيكو ، فيقول :  
 نجحت هذه الانتفاضات من أسباب مختلفة تماماً عن تلك الانتفاضات التي قامت بها في مقاطعات أخرى ... لقد كان هؤلاء العبيد من الزنوج المحمدين (المسلمين) الذين يظلق عليهم في البرازيل ، ماليز ، . وقادوا جهاداً مقدساً حقيقياً في باهيا ، وهذه الانتفاضات كانت إلى حد كبير استمراراً للجهاد الذي قام به المسلمون الزنوج في إفريقيا : وقد رفض هؤلاء المقاتلون الأشداء الذين اقتنعوا من مناطقهم أن يصبحوا عبيداً ظالمين في العالم الجديد ، ولم تكن ردة فعلهم شعوراً بالألم لحظهم العاثر ، بل كان كفاحهم نتيجة مباشرة لتراثهم الحضاري الذي يرتبط بالحروب الدينية والتي نشرت الإسلام في إفريقيا ... لقد كان هناك شعور عام بالثورة في أي مكان يوجد فيه ، الهوسا ، في ، باهيا ، . . . لقد كان العامل الرئيس دينياً . . . وكانت روح الجهاد هي التي حركت الثوار الزنوج ... لقد كانت السلطات التي تولت قمع هذه الانتفاضات غير منزعجة تماماً لإبعادها الدينية . فقد كان هؤلاء يجتمعون في المعابد الإسلامية حيث وصلت الدعوة ثورتها في منتصف القرن التاسع عشر<sup>(٣٤)</sup> .

أما المحمّد اليسوعي القس ، إيتيني ، الذي قام بالإطلاع على الوثائق الخاصة بالتحقيق مع الثوار المسلمين ، فهو يؤكد أيضاً أن الثورة كانت جهاداً دينياً مقدساً ، إلا أنه - وفي محاولة لتشويهها - يرى أن جذورها تمتد إلى ، وشاعر الحق والكراهية العنصرية التي يصلحها الأفارقة السود ضد البيض وضد النصراني<sup>(٣٥)</sup> .

ورغم كل العقوبات التي صدرت بحق هؤلاء المسلمين الثوار فقد توصلت السلطة إلى قناعة تامة بأنهم لا يزالون قادرين على تنظيم ثورات أخرى ، ولهذا - وبزيادة في الحيلة والحد - أصدرت أمراً بأن توضع سلسلة حديدية يتدل منها صليب حديدي حول رقبة كل أفريقي مسلم بعد انتهاء مدة الحكم عليه بالجلد أو السجن ، وتربط السلاسل برجله ويؤمر